مفهوم الكنيسة عند القدّيس الرسول بولس جماعة واحدة أم جماعات متحدة؟

الأرشمندريت جاك خليل
جامعة البلمند

مقدّمة

تتجلّى أهمّيّة دراسة مفهوم الكنيسة في العهد الجديد على مستويات عدّة، منها الأكّاديميّ، ومنها المسكونيّ، ومنها أيضًا الإجتماعيّ، لا بل تتشعّب أكثر من ذلك لتلامس باب العلاقات السياسيّة[١]، وسواها. وقد نال هذا الموضوع حيّزًا مهمًّا في الدارسات الكتابيّة واللاهوتيّة عامّة، لا سيّما في العقود الأخيرة التي برزت فيها آراء عديدة متباينة تناولت مسائل إكليزيولوجيّة أساسيّة، كمسألة تحديد العناصر الضروريّة التي تُعطي جماعة معيّنة حقّ استعمال تسمية «كنيسة»، ومسألة ما إذا كان ثمّة قناعة راسخة لدى كتّاب العهد الجديد بوجود كنيسة واحدة جامعة، أم جماعات متّحدة مع بعضها تجمعها قواسم مشتركة جوهريّة، أم مجموعة من الجماعات المستقلّة عن بعضها. ناهيك عن مسألة العلاقة بين الكنيسة «التي اقتناها الله بدمه الخاص» (أع ٢٠: ٢٨)، وبين شعب إسرائيل الذي اقتناه الله بالنعمة، وأعطاه «التبنّي والمجد والعهود والشرائع والعبادة والوعود» (رو ٩: ٤). وتشكّل الرسائل البولسيّة منهلاً أساسيًّا، استمدّت منه الدراسات المعاصرة[٢]

(١) بخاصّة عندما يتعلق الأمر بهويّة شعب الله الحقيقيّ.

(2) P. BONNARD, «L'Église corps du Christ dans le paulinisme», *RThPh* 8 (1958) 268-282; James D. G. DUNN, *Unity and Diversity in the New Testament*, SCM, London, ²1990; same author, «Models of Christian Community in the New Testament», in A. BITTLINGER (editor), *The Church is Charismatic: The World Council of Churches and the Charismatic Renewal*, WCC, Geneva, 1981, 99-116; same author, *The Parting of the Ways between Christianity and Judaism*, SCM / TPI, London/Philadelphia, 1991; J. HAINZ, *Ekklesia: Strukturen paulinischer*

التي تناولت المسائل الإكليزيولوجيّة دعامات تسند آراءها.

وفي إطار سنة الرسول بولس، كان لا بدّ من التطرّق إلى بعض من هذه المسائل التي ذُكرت من أجل المساهمة في النقاش العلميّ حول مفهوم الكنيسة عند الرسول بولس. وفي هذه الدراسة يتمّ التطرّق إلى بداية تشكّل الوعي الجماعيّ في العصر الرسوليّ، ثم ينتقل الاهتمام إلى دراسة مصطلح «كنيسة» بما يحمله من معنى تقنيّ ومدلولات لاهوتيّة، فتُبحَث بشكل خاصّ في الإطار اللاهوتيّ مسألة تأصّل الكنيسة في شعب الله المختار. وفي المقام الأخير، تعالج هذه الدراسة مسألة التوتّر الناشئ عن استعمال الرسول بولس لمصطلح «الكنيسة» في المفرد وفي الجمع أيضًا، وذلك من خلال شرح بعض النصوص من رسائله.

١ – استعمال كلمة «الكنيسة» في الأناجيل

ترد كلمة «كنيسة» مرّتين اثنتين في الأناجيل الأربعة. يسجّلها الإنجيليّ متّى في قولَين يردان على لسان الربّ يسوع. في مت ١٦: ١٨، يطلق الربّ يسوع تسمية «الكنيسة» –بمعناها العامّ– على الجماعة المسيحيّة، حين بارك الرسولَ بطرس في قيصريّة فيليبّي: «على هذه الصخرة سأبني كنيستي». أمّا في مت ١٨: ١٧ فتشير كلمة «الكنيسة»، دون لبس، إلى الجماعة المسيحيّة.

بالإضافة إلى هذين القولين المباشرين عن جماعة مستقلّة، نجد تلميحات غير مباشرة إلى الموضوع عينه، وهي ذات أهمّيّة، منها قول الربّ يسوع إنّه سيبني هيكلاً في ثلاثة أيّام (رج يو ٢: ١٩)، غير مصنوعٍ بيدٍ (مر ١٤: ٥٨)، وهو كان يتكلّم على هيكل جسده. تتبلور هذه العلاقة بين جسد المسيح

Gemeinde-Theologie und Gemeinde-Ordnung, BU 9, Putset, Regensburg, 1972; M. B. THOMPSON, «The Holy Internet: Communication between Churches in the First Christian Generation», in R. BAUCKHAM (editor), *The Gospels for All Christians*, Eerdmans, Grand Rapids, 1998, 49-70; J. ROLOFF, «Die Kirche im Neuen Testament», *GNT* 10, Göttingen, 1993, 83-85; R. STARK, *The Rise of Christianity*, Princeton, 1996.

والكنيسة لاحقًا في رسائل القدّيس بولس. كما أنّ توسيع نطاق الكرازة خارج إسرائيل، كي يشمل الأمم أيضًا (مر ١١: ١٧، مت ٨: ١١ي، ٢٨: ١٩)، يخبر عن هذه الجماعة الجديدة المستقلّة.

٢- مفهوم الكنيسة في العصر الرسوليّ (حوالى ٣٠-٦٦م)

من الواضح جدًّا أنّ المسيحيّين اكتسبوا منذ البداية مفهوم الجماعة؛ فمن خلال إجماع الإنجيليّين متّى ولوقا (سفرالأعمال) ويوحنّا، بالإضافة إلى الرسول بولس أيضًا، على أهمّيّة سرّ المعموديّة، يتبيّن أنّ هذا الحدث قد شكّل منذ لحظة البداية خاصّة مميّزة للحياة المسيحيّة. ولقد ساعد هذا الحدث المنظور على تحديد الذين ينتمون عضويًّا إلى الجماعة. ثمّ إنّ الانتشار الواسع في العهد الجديد للمفردة koinwnia، «جماعة»/«شركة»، إنّما يدلّ على أنّ الذين اعتمدوا قد أدركوا بقوّة أنّ أمورًا كثيرة يتشاركونها تجمع بينهم (الصلاة المشتركة، كسر الخبز، تعليم الرسل، الخيرات المشتركة...). ولربّما تعكس كلمة koinwni اسمًا آراميًّا باكرًا للجماعة المسيحيّة يوازي تسمية *Yahad*، «الوحدة»، التي أطلقتها جماعة قمران على ذاتها.

ولعلّ كلمة odoj، «الطريق»، كما ترد في بعض مقاطع سفر الأعمال، تكشف لنا تسميةً أخرى باكرة تشير إلى الكنيسة. نذكر مثالاً على استعمالها نجده في أع ٢٤: ١٤: «أَنَّنِي حَسَبَ الطَّرِيقِ ... هكَذَا أَعْبُدُ إِلهَ آبَائِي» (أيضًا أع ٩: ٢؛ ١٩: ٩، ٢٣؛ ٢٢: ٤؛ ٢٤: ٢٢؛ رج ١٦: ١٧؛ ١٨: ٢٥-٢٦؛ قارنها مع ٢ بط ٢: ٢).

أمّا بالنسبة إلى كلمة airesij، فنلاحظ أنّها لا ترد إلاّ على لسان اليهود، حيث تحمل مدلولاً فئويًّا سلبيًّا (أع ٢٤: ٥، ١٤؛ ٢٨: ٢٢).

٣- استعمال مصطلح «الكنيسة»

أ. المعنى التقنيّ لكلمة «كنيسة»

يصعب التحديد بدقّة متى أصبحت كلمة «كنيسة» مفردة تقنيّة في العهد الجديد؛ ففي بعض الأمثلة حيث ترد هذه الكلمة، أقلّ ما يمكن قوله هو أنّها تعكس استعمالاً معروفًا في تلك الحقبة في الحديث عن اجتماع مهمّ للمواطنين، وكان هذا النوع من الاجتماعات يسمّى كنيسة (أنظر أع ١٩: ٣٩)[٣]. بناءً على هذا، يفضّل بعض المفسّرين اعتماد هذا المعنى في ترجمتهم الجملة sunercomenwn umwn en ekklhsia (١ كو ١١: ١٨) على الشكل الآتي: «عندما تقيمون مجمعًا (محفلاً)»، عوضًا عن استعمال كلمة «كنيسة»[٤]. ولكنّ هذا الرأي يسقط عند قراءة ١ كو ١١: ٢٢، حيث تصير الإشارة إلى اختلاف كنيسة الله عن البيوت العاديّة. وفي الرسالة إلى العبرانيّين، يترجم كثير من المفسّرين الحديثين كلمة «كنيسة» في السياقَين اللذَين ترد فيهما بكلمة «مجمع»، أو «محفل» (عب ٢: ١٢؛ ١٢: ٢٢-٢٣). في ما يتعلّق بـ عب ٢: ١٢، يسند هؤلاء رأيهم إلى اعتقادهم بأنّ سبب استشهاد الكاتب بالمزمور ٢١(٢٢): ٢٣ يقتصر على ورود كلمة «إخوة» فيه، ذاهبين إلى أنّ الكاتب لا يهتمّ البتّة في هذا المقام بكلمة ekklhsia[٥]. ولكن هل يصحّ إهمال فكرة كرازة المُقدّس المنقذ لإخوته المقدّسين في وسط الكنيسة التي أسّسها، بالمعنى التقنيّ المسيحيّ لكلمة «كنيسة» في العهد الجديد؟ أمّا في سياق الآيتين ١٢: ٢٢-٢٣، فإنّه يصعب فعلاً فهم «كنيسة الأبرار» بالمعنى التقنيّ الذي يشير إلى جماعة المؤمنين والمعتمدين باسم الربّ يسوع.

---

(3) James D. G. DUNN, *Chruch and Churches in the New Testament* (in Greek), in: Deltio Biblikwn Meletwn 24 Artoj zwhj Athens, 2006, p. 11.

(٤) المرجع السابق.

(٥) هكذا يعتقد شراغي: W. SCHRAGE, «Ekklesia» und «Synagoge». Zum Ursprung des urchristlichen Kirchenbegriffs, *ZThK* 60 (1963) 186.

ب. المعنى اللاهوتيّ

أمّا في ما يتعلّق بالمعنى اللاهوتيّ لمصطلح «الكنيسة»، فثمّة مسألتان مميّزتان تحتاجان إلى انتباه وتدقيق. المسألة الأولى هي معنى عبارة «كنيسة الله» التي ترد عند الرسول بولس، والثانية تكمن في تفسير ورود كلمة «كنيسة» في المفرد والجمع أيضًا في استعمال الرسول بولس.

كنيسة الله

لعلّ مصطلح ekklhsia الذي غدا الأكثر شهرةً دون سواه، يعكس خبرة الخروج، حين جاء شعب إسرائيل إلى الوجود؛ فالسبعينيّة تستعمل كلمة ekklhsia ما يقارب المئة مرّة لترجمة الكلمة العبرية *qahal*، «جماعة»، وبخاصّة في الجمل *qahal Yahweh* و*qahal Israel*. هكذا نقرأ في الترجمة اليونانيّة تث ٢٣: ٢، عن إسرائيل في البريّة، أنّه «كنيسة الربّ»[٦]. وبالنسبة إلى يهوديّ مثل الرسول بولس، يتردّد مع كلمة «كنيسة» صدىً لاهوتيٌّ عميق، فهي تذكّر بجماعة شعب الله. وربّما لهذا السبب يستعمل مرارًا عديدة الجملة «كنيسة الله»، أو ما يوازيها، في الحديث عن الجماعات التي أسّسها خلال نشاطه الإرساليّ؛ فالرسول بولس كان مقتنعًا بأنّ هذه الكنائس تشكّل اجتماعات عبادة لشعب الله على الصعيد المحلّيّ، لا بل كانت في الجوهر شعب إسرائيل الجديد، بكلّ ما له من معنى لاهوتيّ. وفي حديث الرسول بولس عن اهتدائه، يعترف مرّتين أنّه اضطهد «كنيسة الله» (١ كو ١٥: ٩؛ غل ١: ١٣)، معبّرًا بثقة عن صدمته عندما عرف أنّ الجماعة التي كان يضطهدها بغيرة إلهيّة، كانت في الحقيقة «جماعة الله» التي اقتناها له. بالفعل لا مجال للشكّ بأنّ الرسول بولس والمسيحيّين الذين بشّرهم قد اعتبروا جماعتهم

(٦) في أع ٧: ٣٨ يتحدّث أوّل الشهداء إسطفانوس عن موسى ويقول: «**هذَا هُوَ الَّذي كانَ في الكَنيسَة في البَرِّيَّة**».

استمرارًا «لجماعة الربّ»، «جماعة إسرائيل»[٧]. ولكنّ هذا الاستمرار لا يعني أنّ المسيحيّة شكّلت فرعًا آخر من إسرائيل، ولا أنّها زعمت حقّها الحصريّ بمتابعة نهج اليهوديّة بحرفيّة ناموسه. إنّ عدم صلاحيّة الناموس الموسويّ بالنسبة إلى المؤمنين بيسوع المسيح، هو اختلاف جوهريّ عن يهوديّة الهيكل الثاني. والرسول بولس ذاته الذي يعتبر الكنيسة «جماعة الله» و«جماعة إسرائيل»، والذي أعطى مثَل الزيتونة التي سقط منها بعض الأغصان (رو ١١: ١٧-٢٤)، لم يعتبر يومًا أنّ الزيتونة التي غرست فيها أغصان من الأمميّين هي اليهوديّة التي تستمرّ في الكنيسة، بل يتحدّث الرسول عن اليهود كأغصان[٨] غُرست في أصل الزيتونة المغذّي لها (رو ١١: ١٧، ٢٤). لا شكّ في أنّ الأصل هو اختيار الله لشعبه وعهده لهم والوعود والبركات والنعمة. ولم يقم الرسول بولس سهوًا بالمفاضلة الغريبة بين شعب الله وإسرائيل (أنظر آ ١١: ٢، ٧؛ رج أيضًا ١١: ٦)، بل عن قصد ليُهيّء للتقسيم الذي سيجريه في الآيات اللاحقة، بين شعب الله المختار بالنعمة (أصل الزيتونة)، وإسرائيل الذي يسعى من أعمال الناموس (الأغصان الأصيلة الساقطة)، والأمم (الأغصان البرّيّة المطعّمة). وإنّ اعتبار شعب الله المختار بالنعمة بمثابة أصل الشجرة يبيّن قصد الرسول من قوله إنّ «الباكورة مقدّسة» (١١: ١٦أ)، وذكره في الجزء الثاني من الآية «الأصل» كموازٍ «للباكورة»؛ فإنّما الباكورة هي رئيس الآباء إبراهيم وآباء شعب الله. لهذا يتحدّث الرسول عن الأغصان الساقطة أنّها تنتمي طبيعيًّا إلى الأصل، ويقول إنّ الأصل هو «زيتونتها الخاصّة» (رو ١١: ٢٤؛ رج ١١: ٢١). ينسجم هذا التفسير تمامًا مع مناقشة الرسول في الإصحاح التاسع من الرسالة ذاتها، وكذلك مع تطرّقه إلى إبراهيم وسواه من الآباء بهدف إثبات أصالة تعليمه عن التبرير بالإيمان (رو ٤؛ غل ٣)، وتفوّق العهد مع إبراهيم بالإيمان على عهد سيناء الذي بأعمال الناموس (غل ٣: ١٧ي-٢٥؛ ٤: ٢٤-

(٧) والأمر نفسه يصحّ في الحالتين التي ترد فيهما كلمة «كنيسة» في الأناجيل (مت ١٦: ١٨؛ ١٨: ١٧)، فإن قالها الربّ يسوع في الآراميّة يكون قد استعمل كلمة تشتق من *qahal*.

(٨) يتبيّن هذا من خلال الآيات رو ١١: ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢١، ٢٤.

٣١). يبقى أنّ معيار الانتماء إلى أصل الزيتونة هو الإيمان بيسوع المسيح (رو ٩: ٣٠–٣٣؛ ١٠: ٤–١٣؛ رج غل ٣: ٢٢، ٢٩؛ قارن بين رو ١١: ٣٢ وغل ٣: ٢٢)، وبحسب هذا المعيار ما من فرق بين يهوديّ وأمميّ.

خلاصة القول، إنّ الكنيسة بحسب تعليم الرسول بولس تشكّل استمرارًا لشعب الله الحقيقيّ، ولكن دون أن تتماهى مع إسرائيل يهوديّة الهيكل الثاني؛ فالكنيسة المؤلّفة من يهود وأمميّين هي مغروسة في الأصل المقدّس، ولذا تشكّل استمرارًا لشعب الله الحقيقيّ الذي بحسب اختياره (رج رو ٩: ٧–٩)[٩]، هي حقيقةً «جماعة الله»، لا بل «إسرائيل الله» (غل ٦: ١٦). بيد أنّها لا تتماهى مع إسرائيل «بحسب الجسد» (١ كو ١٠: ١٨) لأنّها إسرائيل الحقيقيّ (رج رو ٩: ٦) المُقتنى بالنعمة. وترتكز وحدة «إسرائيل الله» بحسب الرسول بولس على معيار الإيمان بيسوع المسيح، ومن دون هذا الإيمان به، لا يوجد سوى إسرائيل المرفوض المقتلع من أصل الزيتونة لمعاندته، على رجاء افتقاد الله له بالرحمة والغفران (رو ١١: ٢٥–٣٢).

كنيسة وكنائس

الميزة الثانية لاستعمال مصطلح «الكنيسة» في العهد الجديد هو التوتّر الناشئ عن التنقّل بين المفرد والجمع، والذي يظهر على الأخصّ في الرسائل البولسيّة. وإن كان واقع الحال كما رأينا، أنّ الرسول بولس قد أطلق الاستعمال «كنيسة الله»، يكون من المثير للانتباه حديثه في صيغة الجمع عن «الكنائس»، إلى حدّ القول «كنائس الله»؛ فبالرغم من أنّ الحالات التي يرد فيها هذا الاستعمال في السبعينيّة هي بمجملها تقريبًا في المفرد، لا يجد الرسول بولس أيّ مشكلة في اعتباره «مجمع الله» الذي يستعلن في مختلف المناطق في الوقت عينه بمثابة

(٩) رج مقالتي:
«Translating Rom 9,7a: For an Accurate Understanding of a Difficult Verse», in: Udo SCHNELLE (ed.), *The Letter to the Romans*, BETL 226, Peeters, Leuven, 2009, 691-697.

كنائس (الله) في اليهوديّة، في غلاطية، في آسيا، وفي مقدونية[١٠]. كلّ اجتماع للذين اعتمدوا باسم الربّ يسوع يستحيل «مجمع الله» في تلك البقعة[١١]، حتّى عندما يكون الاجتماع في بيت أحد المسيحيّين – الكنيسة في بيت بريسكلا وأكيلا، أو نيمفاس، أو فيلمون[١٢]. أينما اجتمع المؤمنون في «وحدة الروح» و«وحدة الإيمان» لكسر الخبز والعبادة، كان الرسول بولس يعتبرهم استمرارًا لمجمع الله المتمثّل في شعب الله، لأنّهم كنيسة الله.

هنا يُطرح السؤال عمّا إذا كان الرسول بولس ينظر إلى الكنيسة دائمًا على أنّها مجمعٌ محدّدٌ مستقلّ في مكانٍ ما، أو مجموعة من مجامع مستقلّة في مكانٍ ما، أم يقرّ ببعد لها مسكونيّ[١٣].

في الواقع، نجد في رسائل القدّيس بولس، وحتّى في تلك التي لا شكّ في صحّة نسبتها إليه، آيات تلمّح إلى «الكنيسة» بالمعنى المسكونيّ، وهذه بعض الأمثلة:

- غل ١ : ١٣ : «أَنّي كنت أَضطهد كنيسة الله بإفراط وأدمّرها». من الصعب القبول بأنّ عبارة الكنيسة في هذه الآية تشير إلى كنيسة أورشليم، لا سيّما وأنّنا نعلم امتداد نشاط الفرقة المؤتمرة بالرسول خارج أورشليم.
- ١ كو ١٠ : ٣٢: «كونوا بلا عثرة لليهود ولليونانيّين ولكنيسة الله». يرى بعضهم أنّ عبارة «كنيسة» في الآية المذكورة تعنى جماعة كورنثوس، والحجّة هي أنّ السياق يُظهِر هذا الأمر. ولكن كيف يطلب الرسول بولس من مسيحيّي كورنثوس أن يكونوا بلا عثرة لمسيحيّي كورنثوس؟!

(١٠) ١ كو ١٦ : ١–١٩؛ ٢ كو ٨ : ١؛ غل ١ : ٢، ٢٢؛ ١ تس ٢ : ١٤. وأيضًا في أع ١٥ : ٤١؛ ١٦ : ٥، وفي الحديث عن الكنائس السبع في رؤ ١–٣.

(١١) رو ١٦ : ١، ٢٣؛ ١ كو ١ : ٢؛ ٦ : ٤؛ ١٢ : ٢٨؛ ١٤ : ٤، ٥، ١٢، ٢٣؛ ٢ كو ١ : ١؛ كول ٤ : ١٦؛ ١ تس ١ : ١١؛ ٢ تس ١ : ١.

(١٢) رو ١٦ : ٥؛ ١ كو ١٦ : ١٩؛ كول ٤ : ١٥؛ فيلم ١–٢.

(١٣) يعتبر ج. بيكر أنّ العنصر المسكونّي الذي كان يتشكّل خلال كلّ اجتماع لم يكن الكنيسة، بل المسيح في عمل الإنجيل (J. BECKER, *Paul: Apostle to the Gentiles*, Louisville, Westminster, 1993, 422).

ثمّ إننا نعلم أنّ بعض أعضاء الجماعة في كورنثوس عاشوا في أماكن مختلفة أيضًا (في روما، مثلاً)، ونعرف أنّ مبشّرين آخرين كرزوا في المدينة (أبّولوس، وربّما تلاميذ لكِيفا أيضًا)، ما يعني أنّ الجماعة كانت على صلة مع كنائس محلّيّة أخرى، وبالتالي، على الأرجح يختصر التقسيم «لليهود ولليونانيّين ولكنيسة الله» الفئات الدينيّة الثلاث التي كان الكورنثيّون على تواصل معها. يجد هذا الرأي دعامة له في ملاحظة الرسول في الآية التالية: «كما أنا أيضًا أُرضي الجميع في كلّ شيء، غير طالب ما يوافق نفسي، بل الكثيرين، لكي يخلصوا» (١ كو ١٠: ٣٣). بهذه الطريقة يلخّص الرسول بولس التقسيم الثلاثيّ يهود – يونانيّون – كنيسة الله، الوارد في ١٠: ٣٢، بالعبارة الشاملة «الجميع» الواردة في ١٠: ٣٣؛ فهو يطلب من الكورنثيّين أن يتمثّلوا به، في سلوكه وسط اليهود واليونانيّين، وأيضًا بين المسيحيّين جميعهم، لا الكورنثيّين حصرًا. أضف إلى كلّ ما سبق، أنّ الرسول بولس يتطرّق إلى الموضوع ذاته في رسائله الأخرى.

- ١ كو ١٢: ٢٧–٢٨: «وأمّا أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه جزئيًّا[١٤]. وقد وضع الله في الكنيسة: أوّلاً رسلاً، ثانيًا أنبياء، ثالثًا معلّمين، ثمّ قوّاتٍ، وبعد ذلك مواهب شفاء، أعوانًا، تدابير، وأنواع ألسنة». يذهب بعضهم إلى أنّ الرسول يقصد بالمصطلح «الكنيسة» في آ ٢٨ الكنيسة المحلّيّة في كورنثوس، بينما يدافع آخرون عن المعنى الشامل للمصطلح في هذه الآية. وأستطيع القول، بعد دراسة السياق المباشر عن كثب، إنّ الرأي الثاني هو الأصوب؛ فإنّه، فضلاً عن كلّ التحليلات المهمّة التي تدعم المعنى الشامل في هذه الآية، لديّ ملاحظة أضيفها بهذا الصدد.

تأتي كلمة «كنيسة» في آ ٢٨ كبدل لعبارة «جسد المسيح» في آ ٢٧؛ فبعد أن شرح الرسول بولس الحقيقة اللاهوتيّة، أنّ كلّ الذين اعتمدوا «إلى جسد

(١٤) أنظر هامش ٢٠ أدناه.

واحد» (آ ١٣) يشتركون كأعضاء في جسد المسيح الواحد (رج آ ١٢)، تابع مشدّدًا للكورنثيّين أنّهم جسد المسيح. ونستنتج من ورود كلمة «كنيسة» كبدل في الآية التالية، أنّ قوله «أنتم جسد المسيح» يرادف القول «أنتم كنيسة»[١٥]، لا سيّما وأنّ الرسول يلحق تذكيره إيّاهم بأنّهم جسد المسيح بتوضيحٍ لواقع الحال في الكنيسة عامّةً؛ ففيها وضع الله، لا البشر، مواهب متنوّعة، كالرسوليّة وسواها من المواهب التي خبرها مسيحيّو كورنثوس. أمّا الرسوليّة فهي موهبة تتخطّى المدينة الواحدة؛ فإنّه لم يوجد رسل كورنثيّون على سبيل المثال، وهذا لا يدع مجالاً للشكّ بأنّ المقصود بمصطلح «الكنيسة» في آ ٢٨ هو الكنيسة بالمعنى الشامل[١٦]. لذلك، نستطيع أن نفسّر قصد الآيتَين ٢٧ و٢٨ كالآتي: أنتم جسد المسيح، أي أنتم كنيسة الله، وفي الكنيسة هناك مواهب متنوّعة كتنوّع الأعضاء في الجسد الواحد. هكذا تصل مناقشة الرسول بولس في الإصحاح ١٢ إلى هدفها، فإنّه بالتحدّث عن التنوّع في الكنيسة التي هي إقناع الكورنثيّين بأهمّيّة تنوّع المواهب بين الإخوة، واستحالة، لا بل عدم جدوى سعي الجميع وراء المواهب القياديّة أو الفتّانة. إنّه حلم الوحدة التي تخلو من الرتابة.

تجدر الإشارة هنا إلى أف ٤: ١٢، حيث نجد مرّة أخرى حديثًا عن العلاقة بين المواهب وجسد المسيح، الذي لا ريب في أنّه يدلّ في هذه الرسالة على الكنيسة بالمعنى الشامل. تُلاحظ موازاة في المضمون (أنظر الرسم أدناه) بين الحديثَين عن المواهب في كورنثوس الأولى وأفسس، الأمر الذي يؤكّد استعمال مصطلح «كنيسة» كبدل لجسد المسيح في ١كو ١٢: ٢٧–٢٨. في كورنثوس الأولى يوضّح الرسول عمق معنى كون الجماعة جسد المسيح،

(١٥) من شأن هذا الاستنتاج أن يقرّب أكثر بين الإكليزيولوجيا في الرسالة إلى كورنثوس وتلك التي في الرسالتَين إلى أفسس وكولسّي، لأنّه يكون لدينا في ١ كو ١٢:٢٧–٢٨ كلام صريح وفريد عن أنّ الكنيسة هي جسد المسيح، من خارج الرسالتَين إلى كولسّي وإلى أفسس.

(١٦) يورد هذا الرأي أيضًا شراغي في كتابه:
Wolfgang SCHRAGE, *Der Erste Brief an die Korinther (1Kor 11,17-14,40)*, EKK VII/3, Benziger/Neukirchener, Zürich/Düsseldorf, 1999, p. 231, n. 702.

بإعطائه تعليمًا عامًّا عن تنوّع المواهب في الكنيسة، أمّا في أفسس، فالتعليم صريحٌ للغاية، وهو أنّ المواهب المتنوّعة هي لبنيان جسد المسيح.

بالطبع في الرسالتَين إلى كولسّي (كول ١: ١٨، ٢٤) وأفسس (أف ١: ٢٢؛ ٣: ١٠، ٢١؛ ٥: ٢٣–٢٥، ٢٧، ٢٩، ٣٢) ، لا يوجد أيّ التباس في استعمال كلمة كنيسة بالمعنى المسكونيّ.

يوضح هذا الرسم الموازاة بين كورنثوس الأولى وأفسس:

١ كو ١٢: ٢٧	أفسس ٤: ١٢
أ. جسد المسيح = أ٢. الكنيسة	ب. المواهب المتنوّعة
ب. المواهب المتنوّعة	أ. «جسد المسيح»

هذه الأمثلة التي تناولناها في البحث وتعمّقنا فيها، والتي تأتي من الرسائل التي لا يختلف الدارسون حول صحّة نسبتها إلى الرسول بولس، تثبت أنّ هذا الأخير لم ينظر البتّة إلى الكنائس التي بشّرها على أنّها مؤسّسات مستقلّة، بل اعتبرها أعضاء في «كنيسة الله» المسكونيّة، جسد المسيح(١٧). أضف إلى ذلك أنّ استعماله لمصطلح «كنيسة الله» على خلفيّة العهد القديم، وإطلاقه على كلّ الكنائس التي كرز فيها له مدلول كبير، ناهيك عن أنّ التحيّات الختاميّة في رسائله تؤكّد أنّه كانت تجري اتصالات بين الكنائس. وعلينا في هذا ألاّ ننسى الأهمّيّة التي يوليها الرسول بولس للوحدة بين المسيحيّين من أصل يهوديّ، وللمسيحيّين من أصل أمميّ. لذا يصحّ القول إنّ معنى مصطلح الكنيسة الذي

(١٧) أنظر تفسير الذهبيّ الفم لـ ١ كو ١٢: ٢٧، وبخاصّة شرحه للعبارة الصعبة فيها، ek merouj (PG 61, 264) ، بما ينسجم مع استعمالها من قبل الرسول بولس في آيات تأتي كلّها في مقطع آخر من الرسالة عينها (١ كو ١٣: ٩–١٢)، وبحسب استعمالها بهذا المعنى في الترجمة السبعينيّة (أنظر ١ مل ١٣: ٣٣)، وفي الأدب اليونانيّ والهلّينستيّ عامّةً.

نجده في الرسالة إلى أفسس، قد ورد قبل ذلك على نحو غير مباشر في الرسائل الأقدم، ولكن لا هذا فقط، بل قد ثبّته الرسول بولس عمليًّا أيضًا.

وعلى الرغم من أنّ صفة الكنيسة تطلق على الجماعة المسيحيّة استنادًا إلى ارتباطها بالمسيح، وبخاصّةٍ من خلال الاشتراك بالجسد الواحد والدم الواحد، ومن خلال استمراريّة تعليم الرسل في الجماعة، الأمران اللذان يجعلاَ الجماعة كنيسة الله، يجب القول أيضًا إنّ كتابات الرسول بولس واهتماماته تؤكّد، بما لا يعروه الشكّ، أنّ الجماعة المسيحيّة، كي تصبح كنيسة الله، عليها أن تحصل على يمين الشركة مع الكنائس المحلّيّة الأخرى، لا سيّما أورشليم، وإلاّ تغدو «جماعةُ الله» شيعةً بشريّة، لا أكثر ولا أقلّ.